

مكتبة
المجتبة

نظم
قبيل و
المبتدئين
في السير
الرحابانية



مراجعة وتقديم
الأنبا مساؤس

الخوري ابسكوبوس بمعطانية



باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

مقدمة

الرهبنة حياة ملائكة ، والرهبان ملائكة أرضيون أو بشر حمائيون . ولا يستطيع أن يثبت في البرية ويفتن فضائل الرهبنة وبركاتها الا الإنسان الذي دخل إلى الرهبنة بفرض مستقيم ونية حقيقة ، وابتدأ في السيرة الرهبانية بداية حسنة سليمة على أساس قوى متين بمعرفة وغيره متأججة لمدف خلام نسنه واقتضاء الفضائل الروحانية العالية .

والكتاب الذي بين يديك أيها القارئ المزبور كتاب عن نظام قيول المبتدئين في السيرة الرهبانية عند الآباء في عصور ازدهار الرهبنة .

قام بترجمته في صيف ١٩٧٦ مجموعة من رهبان دير السريان

العامر بمساعدة و اشراف القمص ويصا السريانى (حالياً نافذ
الأبنا إيساك خورى إيسكوبوس إيمارشية القليوبية) للفائدة
والمنفعة .

قنا بمراجعته وطبعه لتوسيع مجال الفائدة والمنفعة و
راجين أن يكون سبب بركة لكل من يقرأه ،
بصلوات الرئيس الأعلى للرهبنة القبطية حضره صاحب
القدسية أبينا الحبيب البابا المعظم الأبنا شنودة الثالث
حفظه الله ذخراً وبركة للكنيسة والرهبنة . آمين .
متاؤس الخورى إيسكوبوس .

٣ يناير ١٩٧٩
٤ كيكل ١٦٩٥

عبد نباة الأنبا يمحنوس كماما القس

الفصل الأول

في تدريب الذين يزهدون في العالم والطريقة التي بها يقبلون في اديرة طبانسين (١)

تنتقل الآن من موضوع قانون المزامير والصلوات التي كان
يجب أن تراعى في الخدمات اليومية في الاديرة (٢) إلى التدريب
الذى يتدرّب عليه كل من زهد في العالم ، وتحاول أيضاً بقدر
استطاعتنا أن نمر مروراً سريعاً على الاسس التي بناء عليها يقبل
كل الذين يريدون العودة إلى رب ، ويدخلون إلى الاديرة :
وسأذكر شيئاً عن قوانين المصريين ، وقوانين رهبان طبانسين .

(١) طبانسين أو طبانة : هي جزيرة في النيل بها دير
القديس باخوميوس ، كان بها رهبنة مزدهرة .

(٢) كان موضوع نظام المزامير والصلوات في الاديرة هو
موضوع البحث في اليمين الثالث من معاهد كاسيان .

ويلاحظ لأول وله ، ان اديرة منطقة طبائسين كانت أكثر
هددا ، وأكثر حزما وتدقيقا في نظامها عن المناطق الأخرى .
فقد كان يوجد بها خمسة آلاف آخ (راهب) تحت حكم
أب واحد .

والطاعة التي كان يدين بها ذلك العدد الضخم من الرهبان
للسيد في كل وقت ، كانت من النوع الذي لا نختنه نحن
ولا لوقت قصير ، ولا نطلبها من أحد (١) .

الفصل الثاني

عن الطريقة التي جعلتهم يبقون في الدير إلى سن متقدم .
وأعتقد قبل كل شيء آخر ، أنه يجب علينا أن تلمس
مثابرتهم التي لا تتكل ، واتضاعهم ، وخضوعهم وكيف استمرت
هذه لمدة طويلة وبأى طقس سلوكوا وتشكلوا حتى عاشوا إلى
أن أختتم الشيخوخة جداً . إنه لشيء عظيم حقاً فانني لا أجد
واحداً من يتحققون باديرتنا (هنا في الغرب) يحافظ على
القوانين بدون كسر ولو لستة واحدة .

وحينما رأى بداية زدهم في العالم ، ستفهم كيف صار لهم
هذا ، إذ قد انطلقوا من بداية سليمة مدركة ، وتقديموا منها إلى
أعلى مراتب السكال .

(١) هنا يقصد كاسيان ، أديرة تم في فرنسا (الغرب
بصفة خاصة)

الفصل الثالث

نظام قبول المبتدئين في الدير

من يريد أن ينخرط في سلك الرهبنة بالدير ، لا يقبل
الا بعد أن عمر في الاختبارات الآتية : —

يمكث خارج الدير عشرة أيام أو أكثر ، كدليل على مثابرته
واشتياقه وإلتضاعه وحبه للطريق .

عندما يعمل مطانيات عند أقدام الاخوة المارين ، يتعتمدون
طرده واحتقاره كلو كان مجرماً على ذلك .

وبعدما يشبع اهانات واساءات ، مقطبياً دليلاً عملياً على
احتماله ، يطمئنون انه بنفس الطريقة سيتمكنه أن يتحمل التجارب
التي ستأتي عليه . وهكذا يقبل بعد النأك من سلامه بيته .

+ ويستفسرون منه بتدقيق فائق ، ما اذا كان مرتبطاً
ولو بدرهم واحد من ممتلكاته السابقة .. لأنهم يعلمون أن
المربط بشيء من ممتلكات العالم لا يقدر أن يثبت طويلاً في
جمع الدير ، ولا يقدر ان يتعلم فضيلته الاتضاع والطاعة ، ولا يرضي
مجاهة الفقر وصعوبة للمعيشة في الدير . فبمجرد حدوث أي
اضطراب له بالدير ، سرعان ما ينسحب وينزل كحجر على
منزلق ، متوكلاً على أمواله .

الفصل الرابع

السبب الذي من أجله لا يسمح لطابي الرهبنة
باحضور أي شيء معهم

ومن أجل هذه الاسباب ، يرفض آباء الرهبنة قبول أي
مبتدئ معه أموال خاصة ، حتى ولو اصرفها لصالح الدير . وذلك
أولاً : ربما ينتفع الاخ مزهوا من أجل تلك المقدمة ،
فالواجب أن لا يشعر انه متفضل على إخوه الفقراء .

ثانياً : لشلaisقط في الكبراء ، ويأتي العيش في اتضاع
المسيح . وهكذا حينما لا يقدر أن يسلك تحت نير نظام الديز
يتركه ، أو حينما يفتر فيطالب بما تبرع به في أيامه الاولى —
مدفوعا من روح ردئ .

وعلى العموم ، أنها قاعدة ثابتة راسخة ، وتراعى بكل دقة ،
وقد اختبرناها من أمثلة عديدة . ففي بعض الاديرة ، حيث لم
تراع هذه القاعدة بدقة مع بعض المقبولين ، حاولوا بعد
فترة أن يدنسوا المقدسات ، مطالبين بما قد تبرعوا به وصرف
في عمل الرب .

* * *

الفصل الخامس

السبب الذي من أجله يترك الدير إلى الرهبنة
ملابسها الخاصة ، ويأخذ من الدير ملابس أخرى

كل واحد يحضر ارادته ، لا يتجرد من ممتلكاته الخاصة
فقط ، بل وحتى من ملابسه التي أتى بها إلى الدير ، غير مسموح
له أن يحفظ بها . فباتون به إلى وسط مجتمع الرهبان ويوشحه
أب الدير بيديه ملابس الدير ، وبذلك يتخلص حتى من ملابسه
العادية التي أتى بها .

وبهذا يعرف أنه قد جيد كل الأشياء العتبقة ، وتخلى عن
عظامه العالم ، وتبع حياة مسكنة المسيح بشموة . إنه منذ الآن
سوف لا يعيش بمعنى من ربح صناعات العالم ، ولا باي شيء

ادخره لنفسه من حياته قبل الرهبنة ، بل عليه أن يعيش بالإعانة
في من يغول السكل ، ويعرف أن الدير سيتكلف بغذياته وكسائه
من الحسنات والآوقاف . أنه لم يعد يملك شيئاً من الآن فصاعداً ،
وعليه أن لا يهم بشأن الغذاء كقول الانجيل . وأيضاً عليه أن يقبل
أن يعيش حياة الفقر الانجيلي كما يعيش أخوه له؛ مشاركاً عبيده
نفسه واحداً من أولئك الفقراء ، ودعاهم أخوه له؛ مشاركاً عبيده
في معيشتهم .

يخرج بملابس الدير . بل أنهم لا يسمحون لمن بدأ يفتر ويرد
في حرارته الروحية أن يستمر في هذا الزى .

ولم تكن فرصة الخروج العلنى متاحة لأى شخص اطلاقاً ،
ما لم يهرب كبعد آبق مستغلاً ظلمة الليل الكثيفة ، أو يمحكون
عليه أنه غير جدير بطقس الرهبنة . فيخلع الزى جانباً ، ويطرد
من الدير بخزى وهار أمام كل الآخوة .

الفصل السادس

السبب الذى من أجله تحفظ ملابس الشخص
الخارج من العالم إلى الدير عند الخازن

تلك الملابس التى يتركها المبتدئ ^{في} ، تحفظ في حراسة الخازن
حتى تنتهي فترة اختباراته المختلفة ، والتجارب التى يمر بها حتى
يتأكدوا من أميازه واحتماله ، وتقدم حياته . ويعلمون أنه
يستطيع الاستمرار في الدير ومع مرور الوقت مازال محتفظاً
بحرارته التى بدأ بها . حينئذ يعطون تلك الملابس للفقراء .

أما إن وجدوه مذنبًا من جهة أى غلطة ، أو أى هفوة من
جهة ناموس الطاعة ، حيثند يخلعون عنه ملابس الدير ، ويعيدون
إليه ملابسه المخزونة ، ويخرجونه خارجاً . لأنه لا يليق أن

بدأ في وضع أساس الصبر والاتضاع . وبعد تدريب طويل متقد على ، يسمح له بالدخول إلى مجتمع الرهبان ، فيسلم إلى شيخ آخر لتدريمه . ويكون هذا الشيف مسؤولاً عن تدريبه ١٠ من المبتدئين يسلّهم له أب الدير ليعلمهم ويرشدهم كما نقرأ عن النظام الذي كان موشى يتبعه (خروج ١٨: ٢٥) .

الفصل السابع

السبب الذي من أجله لا يسمح لطابي الرهبة أن يختلطوا برهبان الدير ، بل يمكنون في بيت الضيافة

عندما يقبل الآخر ، وبعدما يكون قد برهن على بنائه بالطرق التي تحدثنا عنها سابقاً ، ويكون قد خلع ملابسه وتوضّح بملابس الدير ؛ لا يسمح له أن يختلط بمجتمع رهبان الدير على الفور ، بل يسلم لتدريم أحد الشيوخ الحكماء ؛ يكون ساكناً بالقرب من مدخل الدير .

يوك للاح العتيبة بالغرباء والضيوف : فيستقبلهم بلطاف وينسل أقدامهم ، ويهم براحتهم . وبعدما يخدم بهمة لمدة سنة كاملة بدون تذمر ، مبرهناً على حسن اضافته للغرباء ، وأنه قد

الفصل التاسع

السبب الذى من أجله يتحتم على المبتدئين
ألا يخفوا شيئاً من أفكارهم عن مدربهم

على هذه التمارين ، يربى الآباء الرهبان المبتدئين ، حتى
تصبح طبيعة ثانية فيهم . إنها ألقا فيتا الفضائل ، التي يسرع
الشيخوخ أن يعلموا بها المبتدئين لأنها هي المراحل الأولى
في اتجاه السكال .

وبتلك الأمور يستطيعون أن يتعرفوا ما إذا كان أساس
الاتضاع في المبتدئ خياليا زائفا ، أم هو اتضاع حقيقي ؟
وبسهولة يمكنهم معرفة ذلك بيقين شديد ، وبعد ذلك يعلمونهم
أن لا يكتسوا في قلوبهم أى أفكار فاسدة من أجل خجل
وخرى زائف . وب مجرد أن يظهر المبتدئ هذه الأفكار أمام
مدربه بكل وضوح عليه أن لا يتحقق في فطنته الخاصة في الارشاد ،

الفصل العاشر

التمارين التي يسلك فيها المبتدئون ليتمهروا في قع شهوانهم .

والجانب الأكبر من التربية التي يتربي عليها الرهبان المبتدئون
كى يصلوا إلى قم السكال العالية بعد شوط طويل هو : كيف
يظهر المبتدئ رغباته ؟ فيدربوه بمحزق وحزم على هذا . فلهذا
يسندون إليه أعمالا ، يعرفون أنه لا يميل إليها . والسائل عندهم
أن الراهب لا سينا للمبتدئ ، لا يستطيع أن يلجم رغباته الشهوانية
إن لم يتعلم أولاً كيف يتقلب على أهواه ، ولا يستطيع أن يحتفظ
بروح الاتضاع الحقيقي في القلب ، ولا يمكنه التقلب على روح
الغضب ، أو روح الكآبة ، أو روح الزنا ، ولا يمكنه أن يكون
في وحدانية مع الأخوة ولا يستطيع البقاء في سلام معهم ، وأخيراً
آلا يتحمل الثبات في الدير وقتا طويلا

الفصل العاشر

كيف يجب أن تكون طاعة المبتدئين
طاعة مطلقة في الأمور الضرورية عامة

قانون الطاعة للمبتدئين يصل إلى هذه الدرجة من الحزم :
فلييس مسموحا لهم أن يخرجوا من قلائهم إلا باذن من مدبرهم ،
بل وأكثر من هذا ، ليس لهم سلطاناً في إيفاء احتياجاتهم
الطبيعية من نوم وأكل .. الخ إلا بمعونة وإذن مدبرهم .

لذلك تراهم ينفذون بسرعة كل الأوامر التي يأمرهم بها
المدبر بدون مناقشة ، كما لو كان أمراً نازلاً من السماء من عند الله .
وحتى إذا تصادف صدور أوامر مستحبة ، يقبلونها بامان
وتقوى وينزلون أقصى ما بوسعهم بلا تردد حماولين تنفيذها
وحفظها فعلاً وعملياً . ولذلك من أجل توقيفهم لمدبرهم ،
لا يعتبرون أن هناك أمر مستحبيل .

وأرجي الحديث عن طاعة هؤلاء الآباء الآن ، لأنني —

بل يتحقق في كل معلم حينما يقول له أن هذا حسن وهذا رد على
عن خبرة .

بهذه الطريقة ، لا يستطيع معاندنا الماكرون أن يخدع المبتدئ ،
مستقلاً شبوبيته وعدم خبرته أو جهله بالأمور . فلا يمكن للشيطان
أن يخدع راهباً مبتدئاً باجيحة ، طالما هو متحسن بمثورة أبيه
الروحى وليس بمثورة نفسه .

أما الذي يخفي أفكاره على مدبره ، يصير قلبه هدفاً للأفكار
الشيطانية التي تشبه سهام نارية مصوبه إلى قلبه . فالشيطان المخادع
لا يستطيع أن يهلك حياة المبتدئ ، ما لم يربطه أولاً .
إما بالكبراء ، أو بالحروف من الحزى والخجل من كشف
أفكاره . والقاعدة العامة هي :

إن الأفكار التي تخزي أن نعلنها لمدبرينا هي من الشيطان .

الفصل الحادى عشر

أنواع الأطعمة التي تعتبر أكثر لذة عندم

لقد حمرت أيضاً على التداريب الصعبة الفائقة لضبط النفس»
حيث أن أكثر الأطعمة ترفرفها عندم هو نبات (الملوخية)
مضافاً إليه الملح مخلوطاً بالماء ؛ ويقدم على مائدة الاخوة
وتداريب نسكية أخرى مثل هذه لا يسمح بها مناخ بلادنا
(فرنسا) ولا صحف مجتمعنا الرهبانية .

وسأو اصل كلامي عن تلك الأمور التي لا تتعارض مع ضعف
الأجسام ؛ والظروف المحلية . ولا يتحمل منها الاضعاف الفكر ؛
أو فاترو الروح .

بعشيه الله . سأتكلم — عنها باستفاضة فيها بعد وبأمثلة ونماذج
عملية إن أعنى الرب بصلواتكم . أما الآن ، فلنتناول باقى
النقط التي لا يمكن تأجيلها عن أديرة الريف كما وعدنا
في المقدمة . مثلاً : كيف أنهم لا يستعملون الملابس الصوفية ،
بل القطنية فقط ، ولا يكون للراهب ثوبان . بل رئيس العشرة
هو الذي يغير له ثوبه عندما يراه قد بلى أو إتسخ .

الطاعةٌ . تلك التي يصغونها ليس قبل عمل اليدين والقراءة
والصوت والمدح في القلالية فقط ، بل وقبل كل الفضائل قاطبة .

لذلك ، يعتبرون أن كل شيء ممكن تأجيله والتعاضى عنه
ما عدا الطاعة . . .

الفصل الثاني عشر

كيف أتمم يتركون كل أنواع أعمالهم بمجرد معاهم
قرعا على الباب من أجل استعدادهم للاستجابة في الحال

وهكذا وهم جالسون في قلاليهم ، مكرسون كل
طاقة لهم للعمل والتأمل بالتساوي . وعندما يسمعون صوت أي
شخص قارعا على الباب داعيا إياهم للصلة أو لأى عمل ، يندفع
كل راهب مسرعا خارج قلاليته . وإذا كان أحد هم يمارس فن
النساخة ، وكان قد بدأ بكتابية أحد الحروف ، فسمع قرعا على
الباب ، لا يتجاوز أن يكمله بل بمجرد وصول قرعات الباب
إلى أذنيه يخرج بأقصى سرعة في نفس اللحظة ، ولا ينتظر
لاستكمال الحرف الذي بدأه ، بل يترك خطوط الحروف غير
كاملة . لأن هدفه ليس أن ينجز وينهى أعمالا ، ولكن هدفه
ال حقيقي الذي يسعى إليه بكل حرارة وحماس هو أن يقتني فضيلة

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

كيف انه منها زاد دخل أى واحد من حمل يديه ،
لا يجسر ان يطالب الا بالقدر السكافى المحدد له

وبالرغم من أنه ربما يكسب أى واحد منهم دخلاً كبيراً من عمل وشغل يديه ، حتى يمكنه ليس أن يسد احتياجات المادية فقط ، بل احتياجات الكثرين معه . فهو لا يفتر من جهة حرفة ، ولا من جهة هذا الدخل الكبير الذى ربحه . ولا يتوقع في آخر النهار سوى خبزتين يابستبن قيمتها هناك (في مصر) لا يزيد عن ثلاثة قروش . ولا يفكر أحد البتة أن يطالب بشيء أكثر ، ولا يوجد بينهم من يدعى — لا بالقول ولا بالفكرة — أن شيئاً ما له . ذلك الامر الذى أخزى أن أقول أنه لا يوجد في أديرتنا (في الغرب)

في خطأ أن يعتبر الراهب أى شيء
ملكاً له مهما كان تافها

من بين التداريب الأخرى التي يمارسوها في أديرة مصر ، أنه لا يسمح لأى راهب أن يمتلك صندوقاً أو حقيبة ، معتبراً إياها أنها ملكاً خاصاً له . إنهم متجردون عن حوزة أى شيء . ولا يمتلك الراهب منهم سوى قيس ، وجباب ، وحذاء وفروة خروف ، وحصير من البردى الخام .

بل وحتى في الأديرة الأخرى المماثلة ، حيث يوجد بعض التساهل وللرونة ، نجد أن هذا القانون مطبق بكل دقة . فلا يتتجاوز أحد هم ويقول أن شيئاً ما في الدير ملك له . ويعتبرونها عشرة عظيمة لو أن لسان أحد الرهبان قد زلف وقال مثل هذه التعبيرات كتابي ، قلمي ، ثوبى ... ويكون عليه أن يكفر عن هذا الخطأ الجسيم بقانون توبة مناسب حتى لا يزلف بلسانه مرة أخرى بعبارات كهذه جهلاً أو غفواً .

الفصل الخامس عشر

كاسيان يشرح تقشى رغبة القافية في أديرتهم في الغرب ..

ما زلنا نقول نحن الاشياء عن هذا ؟ إذ بينما نحن نعيش في كونويون ، ولنا مسئولين عنا ، وتحت رعاية أب ، كل واحد منا يحمل في يده مفاتيحه الخاصة ، وندوس تحت أقدامنا كل مشاعر الخجل والخزي بافتخار وتبجح دون أن نخجل حينما نلبس في أصابعنا خواتم بها نختتم على ما نختزنه . وليس مجرد صناديق وحقائب بل في دواليب وحجرات تكفي لتلك الاشياء التي جمعناها والتي نحتفظ بها بعد ما تركنا العالم . وفي بعض الأحيان تثور على أشياء تافهة مما جمعناها ونحتفظ بها بعد أن تركنا العالم زاعمين أنها ملك لنا ، ولو تخاسر أحد أن يمس بأصبعه أي شيء مما يدعى الراهب هنا ملكيته ، فعلى الفور يمتليء حنقًا ، ولا يستطيع أن يحتفظ بالغضب في قلبه ، بل يعبر عنه بالفاظ من شفتيه بجانب افعاله الجسيمة .

كل مخازن الدير ، يعتبرها كل راهب أنها مخازن الخاصة وانه صاحب الكل ، فيجمعها بكل حرص وتدقيق . وقد حمل هذا النظام الحكم ، لكي يصل الراهب إلى تلك الحالة الممتازة من التجرد الذي نذر أن يكون عليها حتى النهاية بدون أي تفريط . ويعتبر نفسه كأجنبي وغريب ، وبعيد عن تلك الأمور ، وغريب وعابر سهل في هذا العالم . وما هو في الدير إلا خادم ؟ ويستحبيل أن يتصور نفسه انه سيد ومتسلط .

أني ساغضى الطرف عن الأخطاء الأخرى المخجنة ،
وأصبت عن الأمور التي مجرد الكلام فيها يعتبر حاراً طبقاً لقول
للرّبّ : « لا يتعدى في من جهة أعمال الناس » (مزמור ١٧: ٤)
أي سوف لا يتكلّم في عن أعمال الناس .

لند الآن لنتابع موضوعنا الأصلي الذي بدأنا به ، وهو
ذكر الفضائل التي يمارسونها . والتي يجب أن يجعلها هدف نحاول
الوصول إليه بكل حماس . لنقرر باختصار وإيجاز القوانين
العملية ، والنظم التي أتبعوها والتي يعمل بها الآباء الشيوخ
الذين قصدنا أن نلاحظهم عن قرب ، لتجمع هذه القوانين .
وستدعم ما جاء بها باقوى الشهادات ، وسنؤكّد كل شيء قلناه
بنماذج وأمثلة من الحياة الدينية العملية .

الفصل السادس عشر

قوانين العقوبات المختلفة

إن تصادف أن أحد الأخوة كسر جرة من الفخار ؛ عليه
أن يكفر عن اهلاه بعقوبة علنية . ويعطى قانون توبه . وذلك
بأن يسجد على الأرض في حضرة جميع الرهبان سائلاً الحال
والغفران ؛ إلى أن تنتهي خدمة الصلاة . وذلك الحال والغفران
يحصل عليه بأمر أب الدير ؛ حينما يأمره بالنهوض من الأرض .
نفس التكبير (التربيبة) يوقع على الشخص الذي تأخر
عن الحضور لمجمع الرهبان وقت صلاة أو عمل . أو إن هو تلعم
في تلاوة المزامير ؛ أو تكلم بدون ضرورة أو بجهفاء أو باحتداد
أو كان مهملاً في تفويذ ما يوكل إليه من خدمات ؛ أو أن اظهر
أي تذمر ، أو إن كان يبطئ في أداء واجباته المفروضة من
أجل تفضيله القراءة عن العمل والطاعة . إلإ إذا لم يسرع في
العوده إلى قلاليته بعد نهاية خدمة الصلاة ووقف ولو لبرهة وحizza
مع أي شخص آخر ، أو إذا ذهب إلى مكان آخر ولو لدقائقه

الفصل السابع عشر

عن أولئك الذين أدخلوا فكرة قراءة الكتب للقدسة
أثناء تناول الأخوة طعامهم ، وعن الصمت واللزم
الذى كان يراعى وسط الرهبان الاقباط

لقد نما إلى علمنا أن فكرة قراءة الكتب المقدسة أثناء
تناول الأخوة لطعامهم في الجمع ، لم تكن نابعة من النظام
الصري بل أخذت عن أديرة السكباذوك . وليس هناك شك
أنهم لم يضعوا هذا النظام كتدريب روحي ولكن لكي
يضع حداً للمحادنات الباطلة وغير الضرورية التي غالباً ما تشار أثناء
وجبات الطعام . لأنهم رأوا أنه لا يمكن أن تتوقف هذه
المناقشات بأية طريقة أخرى .

أما بين الرهبان الصريين ، وبالخصوص الذين في جيل تباهه
(طبانسين) فقد كانوا يراعون الصمت الشامل حتى لو جلس

واحدة ؛ أو إذا أمسك رفيقه بيده أو ناقش شخصاً ليس
جاراً له في أي موضوع مهما كان طفيفاً ، أو إذا صل مع
شخص موقوف عن الصلاة . أو إذا أبصر أحد أقرباءه أو
أصدقاءه من العالم وتحدث معهم بدون إذن الرئيس ، أو إذا
حاول أن يستلم خطاباً ، أو يرد على الرسائل بدون محااج الأب .

إلى هذا الحد بلغ الحزم الروحي عن هذه الأمور والأخطاء
الطفيفة . ولكن من جهة الأخطاء الأخرى التي ترتكب بدون
وعي ينتقا ، فهم يعاملونها أنها مستحقة كل ملامحة ، فثلا ، الخصم
للكشوف والازدراء الواضح بالغير ، العجرفة ، والملائجحة
والخروج من الدير بالموى الخاص بدون ضبط ، الخلطة مع
النساء ، الحقن ، المشاجرات ، المحاسدات ، المجادلات ، ادعاء
الشخص بملكية شيء له خاص به ، حب القنية ، الرغبة في تملك
السيارات التي لا يملكونها باقى الأخوة . تناول الطعام بين
الوجبات عن طريق السرقة . وأشباه أخرى من هذا القبيل
لا يتعاملون فيها بروح النقد كما نفعل نحن في الغرب ، بل بالعقوبة
وأحياناً تصل العقوبة إلى الطرد من الدير .

على المائدة عدد ضخم من الاخوة لتناولوا الطعام . ويتجاسر أحد أن يتكلم ولو همساً إلا الأقوم (الربية) فقط . الذي إن لاحظ أن أى شيء ينبغي أن يوضع أو يؤخذ من المائدة يفضل أن يعبر عن ذلك بالإشارة بدلاً من الكلام .

وكانوا يحفظون الصمت التام أثناء الأكل بأن يسبل كل راهب قلنسوته على حواجب عينيه لكي يمنعوا النظرات الزائفة الفضولية ، وحتى لا يرى الراهب إلا المائدة فقط والطعام الذي عليها وما يأكله هو دون أن يرى ما يأكله رفيقه .

كيف أنه ضد الناموس ، أن يأخذ أى واحد من الرهبان شيئاً ليأكله أو يشربه خارج المائدة العامة

ومن الآداب الرهبانية العامة عندهم ، إلا يكرم أحد بشهائه بأى طعام خارجاً عن ما يقدم على المائدة ، حتى لو تصادف أثناء نجواهم في الحدائق والمرات حيث تكون الفواكه مدللة من أشجارها بصورة شهية وجذابة ودائمة القطف لدرجة أنها تخبط في صدورهم وأحياناً تكون ساقطة على الأرض معرضة للدوس ومهميّة للجمع حتى أنها بسهولة تفرى من يراها لأنها يشبع شهوته منها . والفرصة متاحة وكية الفاكهة المعروضة تجعل أكثر الناس نسفاً يكسر نسكة . رغم ذلك ، كانوا يعتبرون أن مجرد لمس إحداها بالأصبع وليس تذوقها يعتبر خطيبة . ما عدا ما يوضع لحم منها على المائدة ، أو ما يوزعه الخازن على الجميع أثناء عمل الاخوة كترفيه .

ير.. هو اخوتهم او يسيرون بإنتهاء تلك الواجبات المطلوبة من
غيرهم سرآ ..

وتنتهي نوبة العمل في عشية الأحد ، فبعد ما يجتمع الأخوة
لتلاوة مزامير النوم بها . يقوم الأخوة الذين انتهت مدة خدمتهم
بغسل أقدام باقي الأخوة كل بدوره ، طالبين بإيمان أن يعوضهم
الرب بالبركات عوض أعمالهم .. يقين راسخ أن صلوات الأخوة
ستصحبهم أثناء تنفيذهم لوصية المسيح ، فالصلة تمحو جهالاتهم
وتشفع عن خططيتهم التي ارتكبواها بسبب ضعفهم البشري .
ولكى يقدموا الله خدمة كاملة لائقة بالمسكرين .

وبعد تساعي صباح الاثنين ، يسلمون الأواني والقدور
للمجموعة الجديدة المسكلفة بالخدمة في الأسبوع التالي فيسلمونها
بعنти الحرص والاهتمام حتى لا تضر أثاث كسر كل لو وكأنوا
سيقدمون عن أصغر قدر حساباً كأنه من المقدسات ، وهذا
الحساب ليس للخازن المسؤول ، بل للرب .

الفصل التاسع عشر

كيف يؤدي الأخوة الخدمة في أديرة فلسطين وميزبوتانيا
وحتى تتكامل معرفتنا عن كل مجتمع الشركة الرهبانية ،
فاني أعتقد أنه يجب أن نذكر باختصار الخدمات التي يؤديها
الأخوة في الأقطار الأخرى ...

ففي إقليم ميزبوتانيا وفلسطين وكابادوكية وكل الشرق ،
يتناوب الأخوة كل بدوره كل أسبوع في أداء بعض الواجبات
المعينة . ويعلن عن الرهبان الذين سيخدمون في كل أول
أسبوع . فيسرع الأخوة المعينون بأداء تلك الخدمات بجهد
واتضاع ، أكثر من الخدمات التي يؤديها عبد لسيد قاس
عنيف . حتى أنهم لا يكتفون بالخدمات المفروضة عليهم فقط ،
بل أنهم ينهضون بالليل ليؤدوا أعمالاً مطلوبة من آخرين كى

ولو حدث بالصدفة أو عن طريق الامال أن تلف أحد هؤلئة
يقومون بقانون توبه روحاني .

أنظروا إلى أي حد كان تدريهم وحرصهم واهتمامهم بحفظ
هذه الأشياء ، وسترى من مثل واحد أذ كره فيما يلي ، مدى
هذا الحرص والاهتمام .

الفصل العشرون

ثلاث حبات العدس التي وجدتها الحازن

أثناء الخدمة الأسبوعية لأحد الاخوة ، مربه الحازن ، فوجده
ثلاث حبات من العدس سقطت على الأرض أثناء ما كان الاخ
يفسل العدس بالماء ليعده للطهي . وفي الحال ، ذهب إلى الأب
واستشاره بخصوص هذا الموضوع ، فحكموا على الاخ انه مهملاً
ومنحل في الحفاظ على الاشياء المقدسة . وهكذا أوقف عن
الصلاه ، ولم تغفر له زلة اهله هذه الا بعدما أوفى قانون التوبة
عملياً وعانياً .

لام كانوا يعتقدون انهم لا يملكون حتى أنفسهم ، وكل
ما بين ايديهم هو قدسات للرب . وبذاء عليه كانوا يتناولون أنفسه

الأشياء في الدير بأقصى توقير كانها قدسات الافتخارستيا .
فيقتربون إليها بأجل هيبة ويرتبونها باهتمام بالغ ، ويتصرفون
فيها بأخلاق زائد . حتى أقل الاعمال في الدير يعتبرون كذلك
أن لها ربحا مماثلا بالغا : كنقل شيء من مكانه إلى مكان أفضل ،
أو اعطاء أحدهم كوب ماء ليشرب ، أو إذا قاموا بسكنس
الكنيسة .. فانهم يؤمنون إيمانا راسخا ان الرب سيسكفهم
عن ذلك .

الفصل الحادى والعشرون

عن الخدمات الفورية لبعض الاخوة

علمنا عن بعض الاخوة ، انه في أسبوع خدمتهم كان يوجد
أزمة في حطب الوقود الذى يدعون به الطعام للإخوة . وعندما
أمرهم الأب بسلطان أن يكتفوا بالطعام الجاف إلى حين إحضار
السكينة الازمة من الحطب وقد وافق الجميع بأنهم سوف لا يأكلون
طعاما مطبوخا إلى ان تنفرج أزمة الحطب . ولكن هؤلاء الرجال
الذين كان عليهم نوبة هذا الأسبوع ، حزنوا لأنهم سيحرمون
من خدمة الاخوة وأخذت بركة العمل من أجل أخوتهم حسب
العادة المرعية .. فلم يرضوا على أنفسهم هذا الاغفاء الاضطرارى
من العمل ، فخرجوا يتجلبون في الصحراء الشاسعة المتأحة
لأدبرتهم فى فلسطين جامعين فى أنمارهم ، وفي أطراف

يابهم ما يصادف أن يجدوه مما طرحة المواة من إقش وأعشاب
مها كان ضئيلاً.

الفصل الثاني والعشرون

نظام الاقباط في تعيين الخدمة اليومية

هذه الاشياء التي أخبرناكم عنها ، نظام سائد في كل أديرة الشرق ، وهو الذي يجب ان يراعى في بلادنا (فرنسا) أما المصريون الذين يعطون للعمل اهتماماً رئيسياً ، لا يعنون إلى نظام التناوب التبادلي الأسبوعي في الخدمة خوفاً من عدم اتقان العمل بسبب تغير القائمين به . ولكن مسؤولية الخزن والمطبخ ، تعطى لأحد الاخوة للشهود لهم . وتنظر المسئولية معه من أجل الصالح العام بحسب ما تسمح به صحته أو سنه . حتى لا يرهق بأى عمل جسدى صعب . ولأنهم يستعملون غالباً أطعمة جافة غير مطبوخة . ولو حجية المرفة عندهم : كانوا كل شهر يقطعون أوراق الكرات والكرنب مع ملح الطعام والزيتون والبسارية المملحة - الملوحة - وهذه تكون وجitem المرفة .

وبهذه الخدمة الطوعية استطاعوا أن يعدوا الطعام المطبوخ للأخوة كالمعتاد ولم يعاني الدير من نقص الاطعمة العادي . ولم يعتبروا أنفسهم انهم عملوا أى شئ يستحق الثناء حينما قاموا بهذه الواجبات نحو أخوتهم بكل هذا الاخلاص : فانهم لم يلتتسوا لأنفسهم عنرا من جهة نقص الوقود ، ولا حتى مملاح الألبوم ، ناظرين بالآخرى إلى بركة العمل والمجازاة التي سينالونها .

وهي مدينة في صعيد مصر ذلك الذي نال تعظيمها حتى انه اخذ
موهبة التنبؤ من اجل طاعته المثيرة للعجب . وصار مشهورا
في كل العالم لاستحقاقاته ، لدرجة انه كان معروفا عند ملوك
العالم كله ، رغم انه كان يعيش مغمورا في صعيد مصر .
فالامبراطور تأودوسيوس لم يكن يجرؤ ان يملن حربا على
اقوى اعدائه ما لم يأخذ احبابه مشجعة من شفتيه . وكان يشق به
إلى درجة انه كان يعتبر احباباته نازلة من السماء ، وقد حصل بها
على انتصارات على اعدائه الاشداء حتى في المعارك التي كانت
تبدو انها ميئوس منها .

الصفل الثالث والعشرون

عن طاعة الاب يوحنا التي نال بها توقير
واجلال حتى وصل إلى موهبة النبوة

وحيث ان موضوع هذا الكتاب هو تدريب الشخص الذي
زهد في العالم ، وبدأ في ان يتبع الايضاع الحقيقى والطاعة الكاملة
حتى يتمكن من ان يصمد إلى أعلى قمم الفضائل الاخرى كذلك ،
فارى انه من الافضل ان نسجل بعض عينات - كما وعدنا سابقا -
من أعمال الشيوخ الذين تفوقوا في مضمون فضيلة الطاعة . وسنختار
أمثلة قليلة من كثير ، فكل من اشتاق منكم لهذه الفضيلة ، سيفجد
في هذه الامثلة حافزا قويا لبلوغ كمال فضيلة الطاعة ، ويزينون
أنفسهم بها حسب هواهم . ولسى نوجز في هذا الكتاب ،
سكنقى بتملين أو ثلاثة من بآفات الآباء العظام :

واول السكل هو يوحنا الذى كان يعيش بالقرب من أسيوط ،

منذ زمن طويل ، وكانت معدة للحرائق ، ولأنه لم تأت فرصة لطيخ الطعام ، بقيت هذه العصا في درجة من النشوة والتيس للدرجة أنها سوست بعور الزمن . ثم غرسها الشيخ في الأرض أيام عينيه ، وأمره أن يجلب لها الماء ويسقيها مرتين كل يوم .. حتى بهذا السقى اليومى تندلها جذورا ، وتستعيد حياتها كشجرة كما كانت من قبل ، وتنشر أغصانا جبلا المنظر ، وتظل على من يجلسون تحتها في حر الصيف .

وتقيل التلميذ هذا الامر بالتوقيف المعتاد ، ولم يعتبر أنه أمر مستحبيل . ويوما بعد يوم كان ينفذ الامر حاملا لها الماء من مسافة ميلين تقريبا . ولم يتوقف عن تنفيذ الامر يوما واحدا لا بمحاجة ضعف في الجسد ولا زحمة الاعمال الأخرى ، ولا خدمة الاعياد . تلك الاعمال التي كان يكتنها أن تعفيه ، بل ولا حتى قساوة برد الشتاء إستطاعت ان تتدخل لمنعه من تنفيذ الامر .

وكان الشيخ يتبع تنفيذ الامر خمسة لأيام كثيرة لم يكلم فيها الأخ . وبعد ما رأى أن الاخ قد أطاع بكل اخلاص وبساطة

الفصل الرابع والعشرون

عن المود اليابس الذى ظل الايام يوحنا يسقيه
بأمر معلمه كلام سينمو

وهكذا كان الأب المبارك يوحنا تحت طاعة معلمه منذ حداثته حتى سن النضج في كلام رجولته طالما كان معلمه على قيد الحياة . وكان ينفذ أوامر معلمه باضطاع عظيم حتى أن معلمه نفسه كان متدهلا من تلك الطاعة . ولكن يؤكّد معلمه أن هذه الفضيلة هي من المهام الایمان وبساطة القلب الاصيلة ، وليس دخيلة أو على سبيل الاضطرار ، أو يديها فقط في حضرة الامر ، كان يفرض عليه أوامر غير معقولة ، أو غير ضرورية ، أو غير ممكنة . ومن هذه سأختار ثلاث حالات ، لكي يرى كل من يريد ، كم كان كماله في الطاعة .

أخذ الشيخ عكازا يابسا من أغصان الشجر ، كان مقطوعا

الفصل الخامس والعشرون

عن وعاء الزيت الوحيد الذى ألقاه الأب يوحنا
بعيداً بناء على أوامر معلمه
وهكذا تدرب الشاب بواسطة اختبارات من هذا النوع ،
وكان يتزايد يومياً في فضيلة الطاعة هذه

وتفوق أكثر فأكثر في نعمة الاتضاع ، وحينما فاحت
الرائحة الطيبة لطاعته في أرجاء البرية ، جاء بعض الرهبان
ليختبروه ، أو بالحرى ليتهذبوا على يديه متعجبين من طاعته
التي معموا بها .

استدعاء الشيخ فجأة وقال له خذ قنينة الزيت (وكانت هي
الوحيدة في البرية ، وتمثل سائلًا ثمينًا نادرًا لاستهلاكم الخاص ،
ولا استعمال الغريباء) وأصدع القها من الطاقة : وعلى الفور طار
يوحنا على السلم وطرحها من الطاقة فسقطت على الأرض
وانكسرت .

قلبيّة ، وكان الامر كان نازلاً من السماء ، دون أي تذمر .
أشفق عليه من هذا العمل الشاق الذى استمر فيه لمدة سنة بلا كلل
بل بغيرة تكريسية ملتهبة . جاء الشيخ إلى العصى الجافة وقال :
يا يوحنا ، هل أخرجت العصا جنوراً ؟ ولما أجاب يوحنا بأنه
لا يعلم ، حينئذ هز الشيخ العصا ، وشدّها إلى أعلى قليلاً كأنه
يبحث عن حقيقة الأمر وألق بها ميداً وقال له : من الآن
توقف عن ريها .

تم ذلك دون أن يفكر في حماقة الأمر ، ولا لاحتياجهم
اليومي لهذا الزيت ، ولا لغقرهم مع الصنف البشري والتجارب
واللشنقفات التي تصادفهم في تلك الصحراء الفاحلة . وحتى لو كان
لديهم نقوداً ، فإن ذلك النوع من الزيت لا يمكن أن يعوض
أو يدبر من جديد .

الفصل السادس والعشرون

كيف أطاع يوحنا معلمه في محاولة زحزحة حجر كبير ،
لا يستطيع عدد كبير من الرجال أن يزحزحوه

مرة أخرى ، اشترى أخوه آخرون أن يهذبوا بمناش طاعته .
فاستدعاه الشيخ وقال له : يا يوحنا اجر لتدحرج الحجر الذى
هناك بسرعة بقدر ما تستطيع . فعلى الفور يبدأ يزحزحه مرة
واسطة رقبته ، ومرة أخرى بواسطة جسمه كله ، بكل قوته
وبكل وسيلة حاول أن يزحزح الحجر الضخم ، الذى لا يستطيع
ولا جماعة كبيرة من الرجال أن يحركوه .. وظل يوحنا هكذا
حتى نضج عرقه وبلل كل ثيابه ، وليس ذلك فقط ، بل بلل
الحجر نفسه من عرق رقبته . ذلك ولم يجعل في خاطره استحالة
لأمر لا يمانه وتوقيره لسلام معلمه ، وبساطته الحقيقية في خدمته .
عتقداً اعتقاداً راسخاً أن الشيخ لا يمكن أن يأمره باطلًا
بدون سبب .

في كل الدينيات ولم يبق سوى ابنه فقط كان من السهل عليه أن ينسى كونه كان رجلاً غنياً ، ولكن هل ترى ينسى بنفس المسؤولية كونه كان أبواً ؟ لذلك ينبغي أن يفحص جيداً : هل يضيع عاطته ومحبته اللحمية في مستوى أعلى من الطاعة والأمانة المسيحية التي يجب على زاهد في العالم أن يفضلها من أجل حبة المسيح ...

الفصل السابع والعشرون

عن اتصانع وطاعة الأب باتيرموسيوس
الذى لم يتزدد أن يصنع السكال

سا كتفى بالقليل الذى روته عن الأب يوحنا رغم أن أعمال طاعته كثيرة جداً . والآن أريد أن أذكر لكم ما عمله الأب باتيرموسيوس . لأنها حينما اشتاقت أن يترك العالم ، ظل مطروحاً عند باب الدير مدة طويلة وهو متأثر مثابرة تفوق مثابرة الكلاب . وبذلك أجبرهم — بعكس قوانين الدير — أن يقبلوه مع ابنه الصغير البالغ من العمر ثمان سنوات .

وحيثما قبلوها ، فصلوهما عن بعضهما وسلموا كلاباً منهما إلى رعاية أحد الآباء . بل وعاشا في قلاليتين منفصلتين حتى لا يتذكرا الرجل ابنه الصغير بالرؤيا المستمرة له ، إذ كان هو الباقي من كل ممتلكاته وكنوزه التي كان يملكتها قبل الرهبنة . فقد زهد

الفصل التاسع والعشرون

عن طاعة الأخ الذي بناء على طاعة معلمة حمل إلى السوق عشرة سلال ، وباعهم بالقطاعي .
سوف لا نصمت أيضاً عن سرد تلك الواقعه العجيبة لأن تعرفه . فقد كان يتحدر من أسرة عريقة بحسب مقاييس هذا العالم . فقد كان أبوه أميراً وغنياً جداً ، وقد تربى على العز ، ونال قسطاً وافراً من التعليم . ذلك الرجل ، حينما ترك والديه وذهب إلى الدير فلمسه يبرهن على اضطراب طبعه ، وغيره أيامه ، أمره رئيس الدير أن يحمل على كتفيه عشرة سلال ويدلل عليهم في الشوارع بصوت عالٍ ليسمهم بالقطاعي (يعلمون يكن هناك داع ليعهم في السوق بهذه الطريقة) وقد قصد الأب هذا الأمر لكي يستمر الأخ للترفة وقتاً طويلاً في هذا العمل ؛ وإذا تصادف أن يعرض عليه أي إنسان أن يشتريهم منه بالجملة لا يسمع له بذلك بل لا بد أن يسمهم سلة سلة بالقطاعي .

كيف استعمل للأب بمخصوص باتيرموسيوس أنه حمل نفس عمل إبراهيم . وكيف عندما تبيع هذا الأب خلفه باتيرموسيوس في رعاية شئون الدير .

لقد قبل إيمان هذا الرجل وقواه لدى الله على التو ، وقد ثبتت بشهادة الهيئة . فقد استعمل لرئيس الدير في اليوم نفسه أن هذا الرجل بطاعته قد حاكى إبراهيم أب الآباء .

وبعد زمن قصير ، فارق هذا الأبا الحياة ومضى إلى السجينة موصياً بان يخلفه باتيرموسيوس أباً للدير .

الفصل الثالثون

عن اتضاع ألب ينوفيوس الذى ترك الدير الشهور الذى عين عليه قسا (رئيسا) وبناء على رغبته فى حب الخضوع ذهب إلى دير بعيد بمحبى يمكن أن يقبلوه هناك كمستجد (مبتدئ).

إن حدود الكتاب تجبرنا أن نقترب إلى النهاية، ولكن فضيلة الطاعة التي تحتل المركز الاول بين الصفات الحميدة لن تسمح لنا أن نمر مرورا صامتا عن أعمال ذلك الرجل الذى تفوق فيها حيث أنه من اللائق أن نجمع بين الاختصار اللازم، والإيفاء المشبع.

سنضيف مثلا واحدا عن فضيلة الاضاع، وضحت ليس من راهب مبتدئ، ولكن من ألب وشيخ وراهب كامل. وقد أظهر هذه الفضيلة ليس بالكلام، ولا بالظاهر لعلم الصغار، بل لأنها فضيلة متصلة فيه.

هكذا أينا ألب ينوفيوس الذى كان أباً لجمع رهبانى

وقد نفذ الأخ هذا الأمر بأقصى حماس. دائساً تحت قدميه كل خجل وتردد وذلك من أجل محنة في المسيح ومن أجل أخيه للبارك: فقد وضع السلال على كتفيه، وباعهم بالقطاعي بالثمن المحدد وعاد بالنقود إلى الدير بدون أدنى اضطراب من الطريقة غير المعتادة انتادة الواجب الذي فرض عليه. ولم يعر التفاتاً لحقيقة العمل. ولا لمهانة البيع. ولا لعل منزلته التي كان عليها. لأنه كان يهدف إلى الحصول على شرف الطاعة والاضاع، الذي هو الشرف الحقيقي ...

القوى ، ولكن بسبب الجوع والعوز . فاستندوا إليه إدارة الحديقة ، لأنهم نظروا إليه رجل كهل لا يصلح لأى عمل ووضع تحت رئاسة راهب شاب كى يعلمه أصول العمل . فكان يتبعه كثيراً راغباً أن يزرع فيه قضيلى الاتضاع والطاعة .. أما الشيخ يينوفيوس فكان ينجز كل ما يسند إليه من أعمال شاقة بكل دقة ، ولم يكتف بذلك فقط ، بل كان يقوم في الليل بجحث لا يعرفه أحد ، ويؤدى أحقر الأعمال وأشقها في الحفاء كائناً خالص من الزبالة ، ونظافة دورات المياه ... وهكذا بقى مختفياً هناك لمدة ثلاث سنوات — انتهت بحث عنه الاخوة في كل مكان بصر . وأخيراً تصادف قدوم أحد الاخوة من ديره إلى دير طبائسين ، ولم يكن من السهل أن يعرفه الأخ بسبب حقاره ملبيه ، والأعمال الحقيرة التي كان يؤديها : لأنه كان في ذلك الوقت منحنياً يعزق الأرض لزراعتها بالخضروات ، جالباً لها السماد البليدي على كتفه ليضعه عند الجذور ..

وحينما رأبه الأخ وقتاً طويلاً للتعرف عليه ، إقترب منه ، ورأقه عن كتب مستوضحاً هيئته ونبرات صوته ، وعلى الفور ، أرتمى تحت قدميه ... وحينما أبصر الرهبان ما يفعله الأخ ،

كيده في مصر ليس بعيداً عن إمكينة باقتصيس (قرب المزلة) وكان محاطاً بالغدر والوقار من الجميع ، وكان سبب ذلك الاحترام حياته وشيخوخته وكهنوته . ولما رأى أنه بهذا السبب لا يستطيع أن ينفذ الاتضاع عملياً ، ذلك الاتضاع الذى كان يتوق إليه بكل نزعاته الفطرية ، ولم يجد الفرصة لممارسة فضيلة الخضوع التي كان يشتتها جداً مرتبه سراً من جميع الدير ، وانسحب منفرداً إلى أقصى جهات الصعيد وترك جانباً زيه الراهباني ، واتخذ له ملابس علانية وهكذا ظلن المسؤولون في دير طبائنا الذي كان أشد الاديرة هشاً ، والذي توقع يينوفيوس أن يكون مجهولاً فيه بالنظر إلى بعد موقعه ، أو على الأقل يستطيع أن يختبئ هناك نتيجة لحجم الدير الواسع ، وعدد الاخوة الضخم .

مكث هناك وقتاً طويلاً عند البوابة كشحاذ ، وكان يتسلل بتضرعات حارة عند أقدام الاخوة أن يقبلوه . ولما قبل أخيراً بشق الانفس ، كعجوز ضعيف طاش كل حياته في العالم ، وفي آخر حياته يلتمس الدخول إلى الدير حينها لم يعد يقوى على اشبع ملذاته . وكانوا يعيرونه بأنه لم يطلب الرهبنة من أجل حياة

تسمروا بانذهال عظيم : ترى لماذا يفعل هكذا مع شخص يعتبره الجميع أنه أقليم ، وهو مبتدئ في الرهبة ، ولم يترك العالم إلا مؤخراً . ولكنهم بعد ذلك إندهلوا أكثر حينما أعلن لهم أمه وصفته ، فتثار حماسة الأخوة عند قدميه طالبين منه المغفرة عن جهلهم السابق ، لأنهم لمدة طويلة كانوا ينظرون إليه كمبتدئ أو حديث الهدى بالرهبة .

وأعادوه إلى ديره ضد رغبته ، ووسط دموعه الغزيرة ، وكان يعتبر أن اكتشافه كان بمحض الشيطان الذي أخرجه من الطريقة اللائقة لحياة الانقطاع التي كان يتبعها ، والتي اكتشفها بعد بحث طويل . وكان حزيناً لأنه لم ينجح في أن يكمل كل حياته في تلك الحالة من الحضوع الذي أحبه .

أما إخوة ديره ، فقد شدوا من الرقابة عليه حتى لا يفلت منهم مرة أخرى ويهرب ...

الفصل الحادى والثلاثون

كيف أن الأب بينوفيوس حينما أعيد إلى ديره ،
مكث هناك مدة قصيرة ثم هرب أيضاً إلى جهات فلسطين

مكث الأب بينوفيوس في ديره مدة قصيرة ، واستولت عليه الرغبة في فضيلة الانقطاع ، فاستغل ميزة صمت الليل ونفذ خطة هربه باحثاً في هذه المرة ليس عن أماكن قرية ، بل جهات غير معروفة وغريبة وتفصلها مسافات شاسعة . ورتب السفر إلى فلسطين ، فاقلع في سفينة متعمداً أنه سيكون في هذه المرة أكثر أمناً واحتفاء إذا رحل إلى تلك الأماكن التي لم يشهر أمه فيها .

ولما وصل إلى هناك ، بحث عن الدير الذي كانا نحن نسكن فيه ، وهو الذي لم يكن بعيداً عن المغاراة التي تعطف علينا وولد فيها من العذراء (معارة بيت لحم) .

الفصل الثاني والثلاثون

التوجيهات التي أعطاها الأب يينوفيوس لأحد الاخوة للمبتدئين الذين قبلهم في الدير أثناء وجودنا

ونحن عندما أتينا إلى مصر ، طلبنا أن تقابل ذلك الشيخ بأوفر إجتياه ، بسبب ما تركه علينا من أمر حينما كان في ديرنا ، وأود أن أسرد هنا في كتابي هذا ، موقفاً حدث أمامنا ، وهو توجيه الأب لأحد الاخوة للمبتدئين الذين قبلهم في الدير ، لأنني أعتقد أن هذا مفيد للغاية ...

قال الأب يينوفيوس للأخ :

أنت تعرف إنك اليوم قد قبلت بالدير بعد أن كنت مطروحا على الباب أيام كثيرة . ولكن ابدأ معك ينبغي أن تعرف العقبة التي وقفت في طريقك : لأن ذلك سيكون ذات نفع جزيل لك في هذا الطريق الذي أنت متلهف عليه إذا أنت فهمت طقس خدمة المسيح ، وسلكت طبقاً له كما ينبغي عليك .

أخف الأب يينوفيوس نفسه هنا بعض الوقت . ولكنه كمدينة موضوعة على الجبل (مت ٥ : ١٤) كتبير ربا ، لم يستطع الاختفاء مدة طويلة . فسرعان ما وصل إخوة من مصر إلى الأماكن المقدسة ليتباركوا وتعرفوا عليه ، وطلبوه منه بتوسلات حارة أن يرجع معهم إلى ديره .

وخلامن السكل ، ولا كائنا لا نهتم أن [الذهب] لتقابل أولئك
الذين توق أن يتحولوا إلى المسيح ، ولتكننا نخاف إن قبلناك
بسريعة ، نكون مدانين في نظر الله ، أو يحكم علينا بالرعونة ،
ونجعلك تتجمش عقوبة أثقل إن قبلناك بسهولة دون أن تتأكد
من حقيقة وضعك . فتقلب أخيراً إلى إنسان فاتر [تار] ك الدير .

يجب عليك من أول لحظة أن تتعلم السبب الحقيقي لتركك
العالم ، فإذا علمت وقطعت ذلك ، يمكنك أن تعلم بأكثر
وضوح ما يجب عليك أن تعلمه على ضوء هذه الحقيقة .

الفصل الثالث والثلاثون

موقف الراهب بالنسبة لتوجيهات الآباء ، إن عمل
بها يقال مجازاة ، وإن تهاون بها يقال عقوبة ..
لذلك لا ينبغي أن يقبل أحد في الدير بسهولة

قدر عظم الجد غير المحسود الموعود بما أولئك الذين
يخدمون رب بيان ، ويتصدقون به حسب ناموس [نظام] الرهبنة
هكذا تكون أقسى العقوبات مخزونة للذين يحملون هذا
النير ببرود وعدم إكتراث . ويشلون في أن يشرروا ثمار القدسية
بحسب ما يتطلبها وضعهم ، وما يتوسمه الناس منهم كما يقول
الكتاب : «أن لا تندرن خير من أن تشنرن ولا تقني» (جامعة ٥:٥)
وأيضاً «ملعون من يعمل حملن الرب برخاؤه» (أثر ٤٨: ١٠)

لذلك كنت منذ مدة طويلة ، تلقى مما معاملة خشنة ..
وهذا ليس لأننا لا نرغب بكل قلوبنا ضمان خلاص نفسك

الفصل الرابع والثلاثون

في أن تركنا للعالم ما هو إلا طريق الإمامة تشبهها بالمصلوب

ترك العالم ما هو إلا برهان الصليب والإمامات ، لذلك ينبغي عليك أن تعرف اليوم أنك قد مت بالنسبة لهذا العالم وكل أعماله وشهوته ، وأنك كما يقول الرسول : « صلت العالم ، والعالم قد صلب لك » (غالاطية ٢ : ١٠) لذلك يجب علينا أن تقضي زماننا في هذه الحياة بالأسلوب والوضع الذي صلب هو فيه من أجلنا ، كما يقول داود النبي : « طاعنين جسدا بمحافة الرب » ، مزمور ١١١ : ١٢٠ .

يجب أن تكون كل رغباتنا وامتناعاتنا ليست مرتبطة بamacاته . لأننا بهذا نحقق وصية الرب القائلة : « من لا يحمل صليبه ويتبعه لا يستحق ، (متى ١٥ : ٣٨) .

لذلك ربما تتساءل كيف يمكن لإنسان أن يحمل صليبه باستمرار ؟ أو كيف لإنسان حتى أن يصلب ؟

الفصل الخامس والثلاثون

كيف أن الله هو صليينا .

خوف الرب هو صليينا ، لذلك كما أن الشخص المصلوب ليس له قدرة أن يحرك أطرافه أو يحولها في أي اتجاه يريد ، هكذا يجب علينا أن ثبت رغباتنا وموالتنا بحسب ما يسرنا ويهبنا ، بل بحسب ناموس الرب الذي نسلك بمقتضاه .

وكما أن الشخص المربوط إلى الصليب ، لا يهمه شيء من الأمور الحاضرة ، ولا تكون له آمال مستقلة يفكر فيها ، ولا يضطرب أو يقلق بالاهتمام بالغد ولا يتعرّس برغبة القنبلة ، ولا يلتهب بالكبرياء والمماحة أو المنافسة ، ولا يفكر في أحزان أو أساوة حالية أو ماضية ، وبينما هو مازال يتفسّر في الجسد يعتبر نفسه ميتا عن كل الأشياء الأرضية ، رافعا أفكار قلبه إلى ذلك المكان الذي يعتقد تماما أنه ذاهب إليه بعد فترة قصيرة . هكذا

نَحْنُ أَيْضًا عِنْدَمَا نَصْلِبُ، بِخَافَةِ الرَّبِّ؟ يَنْبَغِي أَنْ نَمُوتْ فَعَلَاعِزْ كُلَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، أَيْ لَيْسَ الرَّذَائِلُ الْجَسَدِيَّةُ فَقْطُ؟ بَلْ كُلَّ الْأَشْيَاءِ الْأَرْضِيَّةِ. مُبْتَدِئُنْ أَعْيُنْ قَلْوَبَنَا هُنَاكَ فِي ذَاكَ لِلْكَانِ الَّذِي تَرْجِي فِي كُلِّ لَحْظَةِ أَنْ نَمُضِي إِلَيْهِ. لَأَنَّا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ نَمِيتُ كُلَّ أَهْوَائِنَا وَعَوَاطِفَنَا الْجَسَدِيَّةِ.

الفصل السادس والثلاثون:

كيف أن تركنا للعالم يصبح بلا فائدة إذا
عدنا واشتبكنا ثانية بتلك الأمور التي تركناها.

احذر اذن لثلا في أي وقت من الاوقات تعود ثانية إلى
الامور التي تركناها وأهملناها وتعود من مجال العمل الانجلي عكس
وصايا[الرب] ، وتوجدو قد خلعت هو باقدلبسته (متى ٢٤: ١٨) ،
وتفوض في الشهوات الارضية الدنية ، وملذات هذا العالم ،
وباحتقار كلمة المسيح تنزل من سطح (فة) الكمال متجرساً
إذ تأخذ لنفسك من البيت [ملك الامم] ور التي أهملتها
وتركتها (متى ٢٤: ١٨) .

احذر ان تذكر شيئاً عن أقاربك أو جوادلك القديمة ،
ولا تعود الى اهتمامات او اضرابات هذا العالم . كما يقول ربنا :
«من يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء، لا يصلح لملكتوت

الفصل السابع والثلاثون

كيف ان الشيطان يتربص نهائينا باستمرار ، وكيف
يجب علينا ان نراقب رأسه .

ان الحياة الخادعة تراقب دائمًا عقبتنا . انها كامنة مترصدة
لختمة حياتنا محاولة أن تغير مسیرتنا الصحيحة حتى نهاية حياتنا
لذلك ليس المهم في البداية الحسنة ، واتخاذنا المخطوة الأولى
بغيرة ، وتركنا للعالم بكل حماس إن لم ندعها نهاية متساوية ،
و تكون النتيجة النهاية حسنة بالمثل ، وإن كان اضاعة وفقر
المسيح الذي نذرته الآن أمامه لا تراعيه حتى نهاية حياتك
كما أنت الآن ولست تتبع في هذا ، عليك أن تراقب رأسها ،
أى بدء روز الفكر وأول لمحها بان تكشفه لأب إعترافك ،
لأنك بهذا تستحق بدايتها الخطيرة إن كنت لا تخجل من
كشفها لأبيك الروحي منها كانت .

السموات ، (لوفا ٩: ٦٢) «احذر لثلاحينها تعمق في معرفة
المزامير ، وفي الحياة الرهبانية قليلا ، تنفس وتفكر بكبرياء
عن نفسك وانت قد بذلت تدوس كبرياءك هذا الآن ، وتضع
ذاتك تحت قدميك في غيره الإيمان ومل» الاضاع كايقول الرسول:
«ان كنت أبني ايضا هذا الذي خدمته ، فاني أظهر نفسى متعديا»
(غلطية ٢: ١٨) .

انتبه لنفسك ان تستمر معك حالة التجدد الاولى هذه الى
تعمدت بها أمام الله وملائكته وهذا الاضاع والصبر الذي مارسته
لمدة عشرة أيام أمام الباب متسلباً بدروع غزيرة ان تقبل في الدير .
وليس فقط ان تستمر ، بل تزداد وتتقدم ايضا . لأنه من
الرديء جدا ان ترجع إلى تلك الأمور الريدية التي كان مفروض
عليك ان تدعم الاساس ، وتعلم من تفعلي بناء الفضائل . فالإنسان
الذي سيخلص ، ليس هو الذي بدأ بالحياة مع الله ، بل هو الذي
داوم فيها إلى الهاية .

الفصل التاسع والثلاثون

فضيلة التجرد سلاح ضد التجارب

وعن القلة القليلة التي تستحق أن نقتدي بها

الفصل التاسع والثلاثون

الطريقة التي نرتقي بها إلى الكمال

والتي نصعد بها من مخافة الله إلى محبةه

بداية خلاصنا وصمام الأمان فيه هو كما قلت سابقاً مخافة الله لأن بهذا يستطيع من يريد أن يتدرّب في طريق الكمال أن يحصل على نقطة البدء في التوبة بالتنقية من كل الرذائل ، والسير في طريق الفضيلة . وعندما تتمكن مخافة الله من قلب الإنسان ^{إله} تنتهي بزدراء كل الأشياء المادية ، ونسينا للاقرباء وفزعنا من العالم نفسه . وبازدراء الإنسان ^{لكل المقتنيات} ، يحصل على الاتضاع .

ويكفي أن يعرف الاتضاع بهذه العلامات :

أولاً : أن تكون كل رغبات الإنسان ميتة .

ثانياً : أن كان لا يخفى شيئاً من أفعاله وأسكناته عن مرشدته .

لذلك كما قال الكتاب المقدس : « إذا تقدمت لخدمة الرب فابت في مخافة الرب ، هي ذهنك لا للتراخي ولا للإهمال ، ولا للسعنات بل للتجارب والضيقات » (سيراخ ١: ٢) لأنّه مكتوب وبضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله (أعمال ١٤: ٢٢) وأيضاً ، ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدى إلى الحياة ، وقليلون هم الذين يجدونه (متى ٧: ١٤)

يعتبر نفسك ضمن الأقلية المختارة ، لاتدع البرودة تتسرّب إلى نفسك متشبهاً بفتور الكثرين ، بل عش مثل القلة ، وحتى تستحق مع هؤلاء القلة للميراث في ملكوت الله ، لأنّه مكتوب كثيرون يدعون ، وقليلون ينتخبون (متى ١٦: ٤٠) وأيضاً « القطيع الصغير الذي سر الآب أن يعطيه الملوك » (لو ١٢: ٣٢) تتحقق أنه لا توجد خطيبة بسيطة ان تذر الوصول إلى الكمال . فلا تتبّع السبل غير الكاملة . وحالة الكمال هذه يمكنك بلوغها إن ابعت الخطوات الآتية .

عاشرًا : إن كان ليس خفيفا في حركته ، وليس مسرطا إلى الضحك .

بهذه العلامات وأمثالها يمكننا معرفة الاتضاع الحقيقى ، فان كان هذا متوفرا فهو يقودك على الفور إلى درجات علية من الحب الذى لا يعرف الخوف (١ يوحنا ٤ : ١٨) وبعد هذا ، وبدون أي جهد ، وكما لو كانت طبيعة فىك ، تستطيع أن تخفظ كل شىء بدأته به ليس خوفا من عقوبة ، لأنه لا خوف بعد الآن من عقوبة ، بل من الحب للخير نفسه وبهجة الفضيلة ومسرتها .

مالثا : إن كان لا يضع ثقته في رأيه الخاص ، بل يعمل كل شىء بحسب حكم مرشد الروحى مصغيا له برغبة ، وحربيا على تنفيذ توجياته .

رابعا : إن بلغ حد الطاعة واللطف في كل شىء مع صبر دائم .

خامسا : لا يكتفى بان لا يؤذى أحدا على الإطلاق ، بل ويتحمل اسهام الآخرين الموجهة ضده دون أن يتضايق أو يضطرب .

سادسا : إن كان لا يتجرأ على فعل شىء مخالف للناموس العام ، أو ليس على مثال الآباء الشيوخ .

سابعا : إن كان يقنع بالنصيب الأقل ، معتبرا نفسه عاملا بطالة غير مستحق لأى شىء يعطى له .

ثامنا : إن كان ليس فقط يعترف بشفتيه أنه أقل الناس ، بل يعتقد بهذا في أعماق قلبه .

تاسعا : إن كان يتحكم في لسانه ، ولا يكون ثرثارا . . .

الفصل الأربعون

في أن الراهب الذي يبحث عن قدوة الكمال لا يطلبها من كثيرين بل من واحد أو من قلة قليلاً

ولكي تصل بسهولة إلى نماذج حياة الكمال للشخص السادس وسط الآخوة لكي يقتدى به ، عليك أن تبحث عن هذا في أقلية قليلة ، أو في واحد أو اثنين ، ليس في كثيرين .

لأن الحقيقة المعروفة هي أن الحياة المتصفة بالحكمة والصفاء والقاوة لا توجد إلا في القلة ، ومنهم تستطيع أن تحصل على هذه الفضائل ، بمعنى أن الإنسان يستطيع أن ينشئ نفسه نشأة صحيحة بواسطة نموذج واحد للكمال يكون موجوداً أمامه في حياة الشركة .

الفصل الحادى والأربعون

الضعفات التي يكتشفها المجتمع من تصرفات الشخص الخارجيه ولكي تكون قادرنا ان تبلغ إلى كل هذا ، وتستمر مطينا للقانون الروحى ، عليك ان تراعى هذه الأمور الثلاثة في المجتمع ، اي كا يقول المرنن : «وما انا فكراصم لا يسمع بكم لا يفتح فاء ، واكون مثل إنسان لا يسمع وليس فيه حججه . (مزמור ٣٨: ٤٥) .

فعليك ان تسير كإنسان اعمى وآخرس واطرش . يشتمني من ذلك الشخص الذي اتخذته نموذجاً ومثلاً للكمال . ينبغي ان تكون اعمى بالنسبة للأمور التي لا تجني منهافائدة ، ولا تتأثر بسلطة واسلوب الذين يتصرفون رديشاً لثلاً تصبح منهم ، وتفعل فيها ادتهم فيه في بدء حياتك .

فإن سمعت عن شخص أنه غير مطيع ، او معاند ، او ينم اخاه ، او يفعل اي شىء بخلاف ما تعلمت ، فلا تخطئه أو تقاذفه بالضلال على مثاله مقلداً اياه ، بل كاصم وكانك لم تسمع ودعها تمر .

وَذَا جَهْتَ إِلَيْكَ أَوْ إِلَى غَيْرِكَ شَتَّاً مَّا أَسَاءَتْ ، لَا تَتَحرُك
وَانْ كَانَتِ الإِجَابَةُ فِيهَا الرَّدُّ بِالْمُثْلِ فَالْأَفْضَلُ اسْتِخْدَامُ الصَّمْتِ
كَانَتْ إِنْ أَبْكَمْتُ مَقْرَنِي دَائِعَاتِي قَبْلَكَ بِقَوْلِ الْمَرْنِ : « قَلْتُ اتَّحَفَظُ لِسَبِيلِ
مِنَ الْطَّা بِلْسَانِي . احْفَظْ لِفَمِي كَامَةً فِيهَا الشَّرِيرُ مُقَابِلِي . صَمَتْ
صَمَتْ » (مَزَهُورٌ ٣٩ : ١ - ٣)

تَدْرِبْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الرَّاِيْعِ ، فَهُوَ يَزِينُ
وَيَعْطِي نَعْمَةَ الْثَّلَاثَةِ التَّدَارِيبِ الَّتِي تَكَلَّمُنَا عَنْهَا سَابِقاً . أَعْنَى كَمَا
قَالَ الرَّسُولُ : أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ جَاهِلًا فِي هَذَا الْعَالَمِ لَكِ تَصْيِيرُ
حَكْمَكَ (كَوْ ٣ : ١٨) وَلَا تَقْتَشِي . وَلَا تَبْحَثْ كَثِيرًا فِي الْأَوْامِرِ
الَّتِي تُؤْمِرُ بِهَا . بَلْ دَائِعاً أَظْهِرَ الطَّاعَةَ بِكُلِّ بِسَاطَةٍ وَإِيمَانٍ مُمْتَرَا أَنَّ
نَامُوسَ اللَّهِ وَوَصَايَا الْأَبَاءِ الرُّوحِيَّينَ لِلْوَجْهَةِ لَكَ هِيَ مَقْدَسَةٌ مُفَيِّدَةٌ
وَحَكِيمَةٌ .

لَكِ تَبْنِي نَظَامَ حَيَاكَ بِحِكْمَةٍ ، يَحْبُبُ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَمِرْ تَحْتَ
هَذِهِ التَّدْرِيبِ ، وَلَا تَشَذُّ عَنْ نَامُوسِ الدِّيرِ بِسَبِيلِ أَيِّ تَجَارِبٍ
أَوْ خَدَاعَاتٍ مِنَ الْعَدُوِّ .

الفصل الثاني والأربعون

كيف أن الراهب لا يحصل على بركة الصبر كنتيجة لتواجده
وسط إخوة فضلاء بل بالأحرى كنتيجة لمعاناته الطويلة
عليك أن تعرف أنك لن تقتني بركة الصبر كنتيجة طالتك
وسط إخوة فضلاء ، ولا تظن أنك تضمن هذه الفضيلة دون أن
تواجه بعض المداوشات (لأنَّه يس في استطاعتك أن تمنع حدوث
هذا) لكن يمكنك أن تحصل كنتيجة لاتضاعك واحتمالك
الطويل ، اللذين يتوقفان فعلاً على إرادتك

الفصل الثالث والأربعون

ما يخص يشرح مسيرة الراهب الذى يرقى
إلى مرتفعات السكمان

وأ شخص ما سبق وملته لك باطباب متعددنا عن كل هذه الأمور التي أوضحتها لك لكي تطبع على قلبك وتستقر في ذكرك بقوة . لكي تستطيع أن تتعلم كل الغيارات (للراحل) عن ظهر قلب بسبب ترکيزها و اختصارها : اجمع في كلمات قليلة كيف تقدر أن تهـلـقـ مـرـتفـعـاتـ السـكـمـانـ بدونـ جـهـدـ أوـ صـعـوبـاتـ .

⊕ بداية خلاصنا ، ورأس الحكمة ، كما قال الكتاب للقدس هي مخافة الله .

⊕ ومن مخافة الله تولد الندامة الصحيحة .
⊕ ومن ندامة القلب ينبع التجدد ، أى التعرى والازدراز بأطيل العالم الزائل .